

# فلسفة سقراط

---

صالح محائيل

(جامعة لندن)

وكيل مصلحة التجارة بوزارة التجارة والصناعة

---

obeykandi.com

## فلسفة سقراط

قد لا نكون مبالغين إذا اعتبرنا أن الفلسفة الأدبية والفلسفة السياسية من ابتكار قدماء اليونان منذ نحو ٢٣٠٠ عام — وقد تقدمت المدنية البشرية من ذلك العهد البعيد وعلى الأخص المدنية الغربية تقدماً مطرداً مصحوباً بالابتكارات المستحدثة في جميع نواحي الحياة سواء في الطب أو الهندسة أو الكيمياء أو علوم الطبيعة وحتى في العلوم الاقتصادية لدرجة أن أصبحت الحياة الحديثة تختلف كل الاختلاف عن الحياة القديمة — أما في عالم الفلسفة والسياسة فإننا عازلنا نسترشد بأراء فلاسفة قدماء اليونان مثل سقراط أو أفلاطون أو أرسطو فإذا درسنا الفلسفة اليونانية القديمة أدبية كانت أو سياسية نجد أننا لم نزد عليها من جديد يستحق الذكر على مر هذه الثلاثة والعشرين قرناً فكل ما كتب من بعدها يرجع في أساسه إلى تلك الفلسفة.

قلنا إن ذخرتنا الفلسفي والسياسي يرجع فضله إلى قدماء

اليونان وعلى رأسهم سقراط وأفلاطون وأرسطو ولكن هذا الذخر الفياض قد سبقته محاولات فلسفية محدودة الأفق منها فلسفة شعراء اليونان ثم فلسفة حكمائهم ثم الفلسفة السوفسطائية فقد نظم الشعراء بعض المبادئ الأدبية والدينية اليونانية في قصائد تعلم منها الشعب اليوناني الفرق بين ما هو عدل وما هو ظلم وبين المشرف والمشين ولكنه حفظها عن طريق الشعر الموزون والأغاني الشعرية حتى صار من العسير على الآثني أن يرتجى الخير ممن كان قبيح الصورة أو يتوقع الشر من الجميل وحتى كلمة الفضيلة باليونانية معناها في الواقع التفوق ويقصد به التفوق في رشافاة الجسم ورفق النفس ورجاحة العقل .

تلى الشعراء الحكماء وهؤلاء شخصيات غامضة بحدهم طوراً سياسيين وطوراً مشرعين وطوراً علماء وسواء أ كانوا هذا أو ذلك فقد وضعوا الحكمة العامية في شكل « أمثال » و « حكم » راج بعضها وأصبح من المبادئ الأساسية للفلسفة اليونانية التي تلتها ، ومن أهم هذه « الأمثال » العبارة المأثورة « اعرف نفسك بنفسك » .

وحتى ذلك العهد لم تكن الفلسفة الأدبية وقد وجدت

كوضوع قائم بذاته له أبحاثه المستقلة — وفي منتصف القرن الخامس قبل الميلاد تجمعت الظروف التي أحدثت الثورة الفكرية السقراطية — وظهرت عوامل التفكك في المدنية اليونانية من جميع نواحيها سياسياً ودينياً واجتماعياً حتى أصبح نظام الحكم أقرب إلى الفوضى منه إلى أى نظام آخر، وكانت السلطة العليا ممثلة في جمعية عمومية من جميع المواطنين أى أن كل مواطن كان يصلح للحكم وللمت في مسائل الدولة — أما شؤون القضاء فكان ينتخب لها بالقرعة ٥٠ قاض دون تفرقة أو تمييز — وكانوا يتناولون مرتبات من خزانة الدولة مقابل أعمالهم القضائية — أما العقائد الدينية فقد بدأت تظهر تدريجياً كجموعة خرافات، كذلك انعكس الشعب الأثيني في الترف فزادت بذلك عوامل الفساد في المجتمع.

في هذه الظروف وفي هذا الوسط ظهر السوفسطائيون فزادوا بتعاليمهم الفساد فساداً ودفنوا بالنشء الأثيني إلى هوة الانحطاط فالسرور والمتعة والملاذ كانت عماد مبادئهم الأدبية والقوة والبطش كانت شعار مبادئهم السياسية وكان العدل في نظريهم نوعين عدل طبيعي وعدل القانون — فالعدل الطبيعي هو الحظوة

بالملاذ وتندرة النفس على إشباع شهواتها — ولما كان الناس  
يختلفون قوة في معترك الحياة يقهر القوي الضعيف ويفوز  
بمناحه — أما العدل في نظر القانون فهو الحد من قوة القوي  
وفرض احترام حقوق الضعيف عليه فالمناداة بالمساواة بين القوي  
والضعيف وحث الإنسان على مقاومة ملاذه وشهواته الطبيعية  
كلها ضروب من السخف والضعف — ولماذا يقيد الإنسان  
نفسه إلى حياة لا طعم لها في حين أن الطبيعة أعطته عدة سبل  
المتعة — وإذا ما تخلصنا من التقاليد العقيمة سخرنا من الحكيم  
التي ابتدعها الضعفاء كأن يقال إن « الأنضل للإنسان أن يحتمل  
الظلم من أن يأتيه » .

وَجَدت هذه الفوضى وتلك المبادئ الخطيرة الجارفة في  
سقراط الشخصية التي تحللها وتهدمها وتنشئ على أنقاضها تعاليم  
جديدة ومبادئ سامية لم يفهمها في عهده سوى القليلون —  
ولكنها زودت العالم من بعده بأعظم تراث فلسفي وزاد هذا  
التراث شأنًا وروعًا أن مناداة سقراط بالحق وخذلانه للباطل  
أكسبته أظلم الجزاء وأبغضه وهو الحكم عليه بالإعدام ولكن  
لا عجب في ذلك فالويل كل الويل لمن حاول أن يعلم الناس

أكثر مما يفهمون .

وُلد سقراط في أثينا في سنة ٤٦٩ قبل الميلاد من أبوين فقيرين وكان أبوه سفرونسك النحات صانع التماثيل وأمه « فيتاريت » القابلة وطبقاً لقوانين البلاد تعلم سقراط الطفل بما كان مقرراً أن يتعلمه أطفال أثينا في ذلك العهد أي « الجباز والموسيقى » ومعناها الأثيني التربية البدنية والتربية الروحية وفضلاً عن التمرينات الرياضية بدأ سقراط ثقافته العقلية بتهجئة درر وفرائد مشاهير شعراء اليونان مثل هوميرو وهيسسيود وغيرهما .  
لم تكن آلة الطباعة قد اكتشفت بعد وكانت جميع المجلدات مخطوطات يدوية فنسخ سقراط تحت إملاء أستاذه نصوص الإلياذة والأوديسية وغيرها ليحتفظ لنفسه نسخة منها — حفظ سقراط هذه الأشعار عن ظهر قلب وفهم التفسير النحوي لكل بيت منها واستوعب معانيها الأدبية وجمالها الشعري ومنها تدرج إلى دراسة أشعار أخرى أصعب منها تركيباً وأعمق منها فهماً .

وفي الثامنة عشرة من عمره التحق بالكلية الحكومية الممدة لتعليم النشء بالبحان تعلمها مياميا وحرانيا ودينيا ومدتها

سفتان ويقصد بها فترة تلمذة ومران إجبارى على الفضائل المدنية وما أن بلغ سقراط العشرين من عمره حتى كان قد زود بالقسط الضروري من المعرفة العقلية والنضوج الروحي والتربية البدنية اللازمة له كواطن أثيني .

بدأ سقراط بعد ذلك الاشتغال بحرفة النحت وصنع التماثيل إطاعة لرغبة أبيه ونسجاً على منواله في الحياة العملية - ولكن بعد فترة قصيرة هجر سقراط هذه الحرفة إلى غير رجعة - ولا غرابة في ذلك فبند نمومة أظفاره كان قد أظهر رغبة شديدة في التفكير العملي والفلسفي وقال عن نفسه « عندما كنت في مقتبل العمر كنت شديد الرغبة لدرجة لا تصدق في درس علوم الطبيعة وكنت أعتقد أن ذروة الرفعة هي في الوقوف على سبب كل شيء ومعرفة كيف تولد الأشياء وكيف تم أو تضمحل وكيفية كيانها ولكن بعد كل هذه الأبحاث تبينت أني أكثر جهلاً مما كنت من قبل » .

ألم سقراط بأهم المبادئ الفلسفية التي سبقته سواء منها ما يستند إلى أسس طبيعية أورياضية وقد سلم مع « أناكساغور » بأن الذكاء هو أصل الأشياء وأساسها بمعنى أن أصل الخليفة

ليس بمادى بل عقلى وأن نظام هذا الكون منسوب للذكاء وهو القوة الدافعة للعوامل الطبيعية ولكن زاد سقراط على ذلك بأن أضاف فكرة الخير إلى فكرة الذكاء المهيمن على القوات الطبيعية أو بعبارة أخرى أن سبب الأشياء هو إتمام الفرض الحسن والمنفرد الذى وجدت من أجله وهدف الحياة يجب أن يكون الفضيلة والحكمة وبهذا ارتقى سقراط بموضوع الفلسفة من علوم الطبيعة والرياضة إلى الفضيلة التى تبحث فى علاقة الأشياء والأعمال بالخير وأن جهلنا بالخير هو الذى يسبب لنا المآسى والشور وخلاص الدولة وتقدمها سواء بسواء كخلاص الفرد ورفعته هما فى العلم والمعرفة فطالما قال سقراط « علموا الناس العلم الصحيح تصلوا بهم إلى النروة » ولذا وهب سقراط حياته كاملة ليمين الأثمين وبالتالى للعالم فيما بهد ضرورة العلم الصحيح للفرد وللشعب — وهذا التوجيه الجديد للفلسفة قد رفع سقراط على مرتبة جميع الفلاسفة السابقين له وأن صح ما قاله سيسرون عن سقراط بأنه أنزل الفلاسفة من السماء إلى الأرض — فإن سقراط لم يكشف للعالم عن سماء منظورة مدهوسة بل كشف عن سماء غير منظورة وهى الضمير البشرى ضمير الإنسان .

وهذا الأساس الفلسفي الجديد ونعني به معرفة الخير  
وطهارة الضمير كان على نقيض لما عُلِّمَ به السفسطائيون ونساءل  
الآن من هم هؤلاء السادة ؟

في الفترة بين سنة ٤٤٠ وسنة ٤٣٠ قبل الميلاد ظهر في  
أثينا قوم من أصل أجنبي أطلقوا على أنفسهم اسم السفسطائيين -  
والمعنى الأصلي لكلمة سفسطائي هو حكيم واحترف هؤلاء  
صناعة تدريس النشء ولقبوا أنفسهم بهذه الكلمة كأنهم  
أساتذة الحكمة مدّعين أن سبلهم التعليمية تُخرج رجالاً  
يحسنون صناعة الكلام متصفين بالشجاعة غير هيابين وجديرين  
بالنجاح في الحياة وإحراز السعادة لأنفسهم . وقد أغرت  
دعائيتهم بعض الشباب الطموحين لإحراز النفوذ وجمع الثروة  
- أما المواطنون الذين كانوا يشارون على احترام العقائد  
القديمة وقواعد التخلق المأثورة ، فكانوا ينظرون هؤلاء  
السفسطائيين بيمين الريبة وسوء الظن وقد جعل هؤلاء المحترفون  
من التشكك فناً له قواعد ونظريات ولم يعترفوا بصفة للعقل  
الخالص سوى مكنته على التشكك وإذا سلمنا بأنه ليس في  
إمكان التفكير الخالص الوصول إلى حقيقة خالصة من كل

شك فقد تساوت إذن وجهات النظر المختلفة من حيث الحياة العملية → والمرشد الوحيد لاختيار الإنسان لطريقة في الحياة هو مجرد صالحه الشخصي فالتفكير والتأمل والتروي في الحكم على الأشياء ما هي إلا وسائل وأدوات للوصول إلى غرض واحد وهو النجاح في الحياة فتردد التفكير النقي المخلص ووخزات الضمير الحي ما هي في نظر السوفسطائيين إلا ضروب من الضعف لا نتيجة لها سوى الفشل والذل — فالشرف والفخر للقوى الخادق والحجل والهوان للضعيف المتردد والفضيلة في نظرهم كالرزيلة سواء بسواء يتوقف مقاسها وقيمتها على ما تحزره من من نجاح في الحياة العملية فالسعادة عن أى طريق وبأى وسيلة هي العدل والشقاء هو الظلم ويجب أن يخضع كل اعتبار وكل شئ ، للفائدة الشخصية دون غيرها .

هذه تعاليم لا شك أنها شريرة لا تهذب الخلق في شئ ولا تعمل على ازدهار المجتمع من أى ناحية وأكثر من هذا كان السوفسطائيون يتقاضون أجوراً عن دروسهم التعليمية بنية الإبراء من وراء حرفتهم « كأستاذة الحكمة ! » وهل من شك في أن من باع آراءه قد لوثها وأفقدتها رفعتها وكرامتها

وحررتها بل وضعتها في مصاف السلع المادية — فثروة الذكاء والتمكين  
المخلص المصلح لا تباع كخطام الثروة المادية لأنها تكون شخصية  
صاحبها فهي كيانه الروحي فكيف تكون موضع مساومة وبيع  
وشراء دون أن تفقد قيمتها الأخلاقية ودون أن ينحط صاحبها؟  
وكان السفطانيون بحكم حرقتهم « كتجار للحكمة والعلوم »  
مصطرون لتقديم سلعهم في أشكال تتفق وأذواق مشترها  
يروجونها كما يروج التاجر ساعته وأسهل عليهم أن يلبسوا على  
شهوات زبائنهم من أن يصلوا إلى ضمائرهم وقلوبهم فيقدمون  
هم الرذيلة في شكل أحب من الفضيلة فالإفراط في الشهوات  
لا يحتاج إلى مجهود — أما الاعتدال فهو الذي يحتاج إلى  
مجهود نفسي وعقلي .

وقد عارض سقراط السفطانيين وأصبح لهم عدوا عنيداً  
منسكاً بالحق والفضيلة في عقيدة وإيمان لا لأي غرض شخصي  
أو صالح ذاتي سوى توطيد سبيل الحياة القويمة ونهتهم بأنهم  
أعداء الخير والفضيلة وأنهم خطر على الشعب الآثني والتفكير  
اليوناني ووهب حياته لمحاربة الباطل والمناداة بالحق مهما كلفه  
الأمس — ولكن من سخرية القدر أن يكون سقراط مندوباً

للسفسطائيين إلى هذا الحد وبتهمه بعض الأثينيين بأنه شبيهاً  
ثم فهو « معلم للحكمة » ولكن هذا الشبه مع فارق في الجوهر  
والمعدن فهم يعلمون الرذيلة وهو يعلم الفضيلة وهم يؤيدون الباطل  
وهو يوطد الحق هم يسعون للأثراء من وراء تعاليمهم وهو يعلم  
بالحجج . لا ربح له سوى ثمرة تعليمه .

لم يفتتح سقراط معهداً علمياً في مكان معين كأكاديمية  
أفلاطون أو ليسيوم أرسطو ، بل كان يتجول في أنحاء أثينا وفي  
طرقاتها وحدائقها العامة وعلى شواطئها وفي أسواقها العامة وعلى  
الأخص الأماكن التي كان يرتادها أكبر عدد من الناس لباحثهم  
ويناقشهم في مختلف المواضيع الجوهريّة للحياة إن أدبية أو  
اجتماعية أو سياسية متعرضاً لكل هذه المواضيع بكل شجاعة  
وثقة في النفس دون اكتراث بالتقاليد أو مراعاة لنفوذ وبأس  
الشخصيات التي يتسها هذا الحواز وغير غرض في نفسه سوى  
الإخلاص المطلق لمواطنيه وللبشرية ولم تكن لتغريه أية شهوة  
في النفس كما لم تؤثر فيه أية سلطة لتعديل مبادئه أو الإلتعاض  
عن نقده المصحوب بالسخرية لكل ما هو معيب أو ظلم —  
كانت عادة سقراط وسلاحه في نضاله الإخلاص الذي خصص

له حياته وقوة إيمانه بالحق ورفضه للباطل وبراعته في الحوار  
والمناقشة وطهارة نفسه ونقاوة خلقه — ولم يكن سقراط حسن  
المنظر أو رشيق المندام كما لم يكن خطيباً وهذه كلها أوصاف  
استعان بها السفسطائيون للتأثير على الشبيبة الآثينية .  
كان أغلب الآثينيين في عهد سقراط أجهل من أن يفقدوا  
قيمة مبادئه وتعاليمه أو يفطنوا إلى أنها لا محالة محدثة ثورة في  
الأفكار ولو بعد حين — هذا فضلاً عن أن مظهره الخارجي  
وسحنته وبعدها عن الجمال والرشاقة قد أبعدا الشقة بين تعاليمه  
وبين نفوس مواطنيه — فالإيوناني وعلى الأخص الآثيني في  
ذلك العهد كان يتأثر قبل كل شيء بالجمال والتناسق والرشاقة  
وقد وصف المؤرخون عهد قدماء اليونان هذا بعهد الشبوبة  
والجمال كما وصفوا عهد الرومان بعهد الرجولة والصرامة والواجب  
وكان الآثيني سريع الإحساس والتأثر بكل ما هو جميل  
ومتناسق — لدرجة يصعب علينا أن نستسيغها — فبحكم نشأته  
وتربته وبيئته كان يشق عليه أن يدرس الخير والطيبة والحقيقة  
المطلقة دون اعتبار للجمال الخارجي أو يتخيل نفساً جميلة عظيمة  
في جسم قبيح كما يعتقد أن الفكرة النبيلة لا يمكن أن يُعبر عنها

إلا بلغة بليغة وأن أعمال النضيلة تتنافى مع الحركات الغليظة  
غير الرشيقة — فكيف يتيسر استقراط بوجهه المعيدى وحركاته  
الغريبة وتعبيراته العادية أن يجد حظوة لدى غالبية مواطنيه —  
وتحس إذ ندرس مقراط الآن بعد مضي ٢٣ قرنا حين خاطب  
مواطنيه في أثينا تجد أنه أقرب إلى نفوسنا وقلوبنا مما كان  
لمعاصريه فجمال الفضائل العميقة وجمال النفس الباهرة التي  
ندركها بقلوبنا وعقولنا لم نجد سبيلا لنفس الأثيني في ذلك العهد  
الذي كان يتأثر بالجمال المنظور بالعين والمسموع بالأذن قبل أن  
يتأثر بالجمال النفساني . ومع ذلك لم يجد مقراط في قبح منظره  
ما يدعو إلى الخجل أو يدفعه إلى التوارى بل على عكس  
ذلك قد اعترف بهذه الحقيقة في مزاح واستهتار ممزوج بملو  
النفس ونضوج التفكير والثقة في بلوغ الهدف رغم كل  
العقبات — وإنا لنتساءل لماذا أحبه تلاميذه الأخصاء ووقروه  
وأعجبوا به إلى هذا الحد؟ — الحقيقة أنه كان رجلا شهما  
شجاعا وفيلسوبا حقا وحكيما في غير غرور فلم يكن « محترفا  
للحكمة » ، بل كان من « غواتها » وقد التفت حوله فئة  
جمعت مختلف الألوان فمنهم من كان مثريا مثل أفلاطون

والسيباديس Alcibades وقد بهرتهم انتقادات سقراط لنظام الحكم الآثينية ومنهم من كان اشتراكياً مثل انتريثمس Antristhems الذي سحره عدم اكتراث أستاذه بالفقر ومنهم من كان فوضوياً مثل أرستيبيوس Aristippus الذي كان يود أن يرى العالم دون تفرقة بين سيد ومسود ولا يابه بمتعاب الحياة المادية كأستاذه — وفي هذا الوسط ناقش سقراط جميع المسائل التي لا تزال للآن موضع تفكير المجتمع البشري من مواضيع فلسفية أو اجتماعية أو سياسية — كما وضع أساساً جديداً للفلسفة الأدبية للعالم المتمدين .

لم يكن سقراط خطيباً مفوهاً ولكنه كان أستاذاً فذاً في فن الحوار فكان يلقى أسئلته على سامعيه بشكل يضطرم إلى الإجابة . كما كانت لهجته لا تتغير ولا تتبدل سواء أكان يتحدث إلى شخص عادي فقير أو مثر كبير أو لقائد حربي عظيم أو لأستاذاً أو تلميذاً بسيط وكان يبين لهم أخطاءهم أو جهلهم في صراحة دون أدنى تحفظ أو تردد .

وكان سقراط متزوجاً من امرأة تسمى اكسنتاب Xantippe امتازت بقسوتها وغلظة أخلاقها وكانت خصومتها وشجارها

مع حديث الناس — ولكن سقراط احتملها في صبر جميل  
وقد أبدى له بعض أصدقائه سرّة استغرابهم لأحتمال مساوية  
هذه المرأة التي لا يمكن للإنسان أن يشاركها الحياة، فأجاب في  
بساطة وسخرية بأن من يود أن يكون فارساً يجب ألا يقتصر  
على ركوب الجياد الهادئة السهلة القيادة بل كذلك الجياد الجفولة  
صعبة القيادة، وأنه (أي سقراط) يود أن يعيش مع الناس جميعاً  
على اختلاف طبائعهم ولو أمكنه احتمال زوجته سهل عليه  
احتمال أي شخص آخر مهما كانت سليقته .

وقلّ من الآثينيين من أدرك عظم نفس سقراط وحتى  
سقراط نفسه لم يكن يدرك حقيقة نفسه ومقدار ما أوتي من  
حكمة، وقد اعترف أنه في حادثة سنة كان يميل إلى الحركة  
والمسرات العنيفة أكثر من السكون والهدوء — وقد قبض  
على ناصية الفلسفة الأدبية من جراء صراعه ضد شهواته الجسمية  
وقد تعلم ببصيرته أن يقي نفسه شر نفسه وأن ينزع بفضل قوة  
إرادته كل ما كان يتعارض مع المثل الأعلى للخلاق الشريف .  
وقد كان لحادث عرضي بسيط الفضل في توجيه تفكير سقراط  
إلى رسالته كعلم ومُثَقِّفٍ وذلك أنه عندما بلغ حوالى الأربعين

من عمره حدث أن خطر لصديقه شيروفان Cherephan وقد كان وقتذاك في دلفي أن يسأل العرافين Oracle عما إذا كان يوجد في العالم رجل أحكم من سقراط فكان الجواب بالنفي — فلما بلغ ذلك لسقراط كان بمثابة إيماء له ليدرك رسالته في الحياة وقد اعتبرها واجباً مقدساً عهد به إليه وهو واجب العمل بكل ما أوتي من قوة إرادة وحدة تفكير على إنارة الضمائر وإيقاظها وأن يجعل من كل إنسان رقيباً من نفسه على نفسه وفاحصاً وصراجماً لأعماله واتخذ لذلك شعاراً العبارة المنقوشة على واجهة معبد دلفي وهي « اعرف نفسك بنفسك » . Connais - toi .  
« toi - meme .

فمن فهم حقيقة نفسه عرف ما هو مفيد له وأمكنه أن يميز بين ما يمكنه قبوله وما يجب عليه رفضه وأن يُقدم على ما يمكنه عمله وأن يعتمد عما ليس فيه خير وبهذا يحفظ نفسه من الخطأ ويبقى نفسه من الشقاء وبنفس هذه الطريقة يمكنه أن يحكم على الآخرين ويستفيد من فهمه لهم سواء في إحراز الخير أو تفادي السوء — أما من لا يعرف نفسه حق المعرفة ومن أساء استعمال قواه فلن يتيسر له فهم الآخرين ولن يحكم على الأشياء حكماً

صحيحاً ولن يتبين ما يقلب معه ولن يدرك ما يجب عليه عمله  
ولا السبل التي يجب اتباعها ويخطئ في كل شيء وتفت منه  
كل الفرص المؤاتية ولا محالة يصيبه الشقاء .

كان سقراط رسول التفكير والتأمل وكان أول من نادى  
بعبداً استقلال المسام والفسلفة فسلطان العقل والتفكير فوق  
قوة التقاليد وهو يدعو كل منا لأن يمتحن ضميره وهذا أساس  
المعرفة ومصدر القوة فالمعرفة قوة *Savoir C'est pouvoir* وكل  
ما عمله الإنسان كمجرد عادة أو جريا على التقاليد المتبعة أو تحت  
تأثير الضغط أو الإجبار لا قيمة له ما لم يمايه سلطان التفكير  
الحر وهو السلطة الوحيدة التي يصح أن تفرض على النفس —  
على أن التشكك يجب ألا يكون سفسطائياً بل كمجرد وسيلة  
للوصول إلى الحقيقة والرغبة في معرفة الخير وفي وجوب اتباعه  
كذلك لم يقبل سقراط قضية دون تعرف علها الحقيقة فلم تقنعه  
مجرد ظواهر الأشياء بل كانت تثير رغبته في تعرف حقيقةها  
وهناك أوصاف تميز الحقيقة من الخطأ فالحقيقة مفيدة أما الخطأ فلا  
فائدة فيه كما أن الحقيقة سبيل العمل الناجح — أما الخطأ فلا  
بد من فشله إذا ما حاول الإنسان تحقيقه . فالحقيقة سبيل سواء

للتخلاق والعمل — ومعرفة حقيقة أى شىء هى عبارة عن تحديد  
الفرض منه والوقوف على الأغراض التى يصلح لها وعلى ذلك  
فالمعرفة قوة وسلطان .

على أن سقراط يرى فى الطبيعة عالمين مختلفين عالم المعرفة  
والعلوم الفنية وعالم الظاهرات التى لا يمكن إخضاعها لمداركنا  
فهناك مواضع فى مقدور العقل البشرى فهمها وتحديد أوضاعها  
وأخرى لا تقوى عقول البشر على استيعابها فالإدراك البشرى  
محدود وبالتالي فالعلوم والمعرفة البشرية محدودة وليس فى إمكانها  
أن تفحص سوى المسائل المحدودة الأوضاع فمثلا ليس فى مقدور  
العقل البشرى أن يتكهن بالمستقبل مهما أمعن فى تطبيق علومه  
ومعرفته — فمن زرع حقله طبقاً للأصول والمبادئ الفنية  
الزراعية جنى ثمراً جيداً ، ولكن هل هو واثق من أنه هو الذى  
سيجنى هذه الثمار دون غيره ؟ — والمعارى الذى يشيد منزله  
على أصح الطرق الهندسية هل يضمن أنه سيقطنه دون سواه ؟  
والشاب الذى يقترن بفتاة جميلة طمعاً فى تذوق السعادة معها  
وعن طريقها هل هو واثق من أنها لا تجلب عليه الشقاء ويكون  
جمالها وسحرها سبباً فى تعاسته ؟ فكل من اعتقد أن فى مقدور

الذكاء البشرى الشكهن بالمستقبل فهو أحق .

على أن الحياة لا تستقيم إلا بالتفكير الصحيح وأن  
جميع العلوم مفيدة للحياة الطيبة غير أن أهم العلوم جميعاً هو علم  
الفضيلة أي معرفة الخير من الشر والعدل من الظلم والمشرق  
من المشرق وهذا العلم يمتاز عن جميع العلوم الأخرى لأنه يبين  
لنا علاقة أغراض وأهداف جميع تلك العلوم ببعضها بفضية  
الوصول إلى غرض أسمى وهو السعادة والحياة السعيدة فمعرفة  
الفضيلة هي إذن الحكمة الحقة والعلم الرفيع وموضوع هذا العلم  
في نفوسنا وليس بخارج عنها — ومعرفة العدل من الظلم أو  
التمييز بين الخير والشر لسنا في حاجة إلى فحص الأجرام السماوية  
أو الظاهرات الأرضية أو قياس أعماق البحار بل أن كل  
ما يحتاج إليه هو مراجعة نفوسنا وفحص قلوبنا وضماثرنا وبذا  
نعرف ما يجب أن نعمله وما يجب أن نبتعد عنه وما هو خالق  
بأن نرغب فيه وما يجدر بنا أن نرغب عنه وهذه شروط  
السعادة وأساسها التفكير المستقيم المنزه — سناً أكبر الحكمة هي  
ترقية وتهذيب الضمير ولا ينقص الإنسان الذكاء ولا القدرة  
على التفكير بل أن ما ينقصه هو، أما التفكير العميق المنزه

أو الخضوع للتفكير المفروض السيئ . وإمعان التفكير القويم يبرز  
فينا المعرفة السكامنة في نفوسنا والتي جعلت عليها النفس البشرية  
وبالتالى نصل إلى معرفة شروط وأوضاع سعادتنا الحقيقية وكل  
الأعمال المنبعثة عن الجهل أو المبنية على مجرد الخدس والظن  
هى أعمال عمياء ضارة — أما التفكير الصحيح فهو شرط  
أساسى للحياة الطيبة السعيدة والغريب أن الناس فى علاج  
أجسامهم أو إصلاح حقوقهم أو تربية أبنائهم يستشيرون الأطباء  
وعلماء الزراعة وخبراء التربية البدنية ويتبعون مشورتهم أما  
فى انتهاج سبل الحياة والسعى وراء السعادة فكل يعتقد أنه  
خبير محنك فى حين أنه يجهل ما هو فى أشد الحاجة لمعرفة  
والأغرب من ذلك أنه يكابر ولا يعترف بجهله ومن السخف  
أن يركن الإنسان إلى الحظ المواتى لأن الحظ لا يخضع لأحكام  
البشر — ويتوقف اختيار الإنسان للأشياء والأعمال على  
ما يعالقه عليها من قيمة وما ينتظر منها من نتائج فإذا غدت  
سيئة فذلك راجع فى غالب الأحيان إلى سوء التقدير وخطأ  
التفكير — فالمعرفة قوة والجهل ضعف .

لا يقوم الإنسان بأى عمل حبا فى العمل نفسه بل رغبة

في نتيجة معينة يود الوصول إليها فالمريض لا يتعاطى الدواء حباً فيه بل رغبة في الشفاء والتاجر يجوب البحار ليس حباً في أخطارها بل سعياً وراء الربح والثروة — وجميع الأشياء في العالم أما أن تكون طيبة أو رديئة أو أنها في بعض الأحيان طيبة وفي بعضها سيئة فإن اتفق الناس على أن الحكمة والصحة والثراء تقع ضمن الأشياء الطيبة وأضادها تقع في عداد الأشياء السيئة — فهناك حالات لا يمكن اعتبارها طيبة أو سيئة بل أنها طوراً تسكون حسنة مرغوب فيها وطوراً تكون رديئة مرغوب عنها فالتَّهَب يرغب في الجلوس ومن أطال الجلوس يرغب في السير — فإذا قررنا الجلوس فذلك لاعتقادنا أنه مفيد لنا وإذا قررنا السير فذلك لاعتقادنا أنه صالح لنا وحتى إذا حكمنا على شخص بالإعدام أو النفي فذلك لاعتقادنا أننا نعمل خيراً من ناحية معينة ولو جهة نظر محددة كذلك القتل والنفي لا نلجأ إليهما رغبة في العمل نفسه بل لفائدة نرجوها من جراء إتيانه — فإتيان الشر إذن ليس رغبة في مجرد الشر بل لاعتقادنا أن فيه فائدة لنا بشكل من الأشكال أو من ناحية من النواحي فكان مساوياً للإنسان ناجمة ليس من أنه يختار

السوء بل لأنه يسمى التفكير ويخطئ التقدير فيجعل من مواضع شهواته مواضع لإرادته فيسير حيث تقوده حواسه بدلاً من أن يسير طبقاً لإرشادات عقله وضميره في حين أن أعلا درجات الحكمة هي أن يحسى الإنسان نفسه من أخطائه وأن يفرق بين ما فيه صالحه حقاً وبين ما يبدو له خطأ أنه في صالحه — فما الرذيلة إلا نتيجة الجهل والسعي من عرف الفضيلة وطبقها على نفسه وعلى أعماله وهذا يستدعي من النفس مجهوداً كلياً والرجل الشرير يحكم على من أتى الشر مثله بأنه شرير ولاكنه لا يرى هو في نفسه الشر أو أنه يحال له نفسه بأنه يأتي الشر كجرد وسيلة لأغراض أهم أو لمناسبة مهينة أو لظرف معين ولكن الخير والشر لا يختلفان باختلاف الأشخاص فالخير خير للجميع وفي جميع الأوقات والشر شر للجميع الناس وفي جميع الأوقات ومن لا يحكم نفسه بنفسه حكماً عادلاً أخرى — وقد يخضع في بعض الأحيان لثورة الغضب أو لشعور الالذة والسرور أو لشدة الألم أو لعاطفة الحب أو لشعور الخوف والوجل ثم يعالج ضعفه بأن هذا حكم القدر ولا سلطان له عليه .

## الطريقة السقراطية

كانت بعض المواضيع الأدبية مثار خلافات في التفسير ومفارقات في الإدراك لدرجة خلفت الكراهيات وطالما اختلف الناس في إدراكهم لمعنى العدل والظلم والحسن والقبيح والخير والشر ولم فسرت كل هذه الموضوعات الفلسفية الأدبية تفسيرات تتفق وما رب المفسرين وتقلام مع طبيعتهم إن لجهلهم أو لتبرير تخلقهم الملتوى أو للوصول إلى أهداف مُبينة — بل وأكثر من ذلك ألم تُحدث الآراء المتنافرة في ماهية الحقوق والواجبات ثورات وحروب داخلية .

ونحن نحكم على عمل ما بأنه عمل عادل أو ظالم قبل أن نعرف معنى العدل أو نجدد أركان الظلم فننتخبط في مناقشاتنا على غير هدى وننتهى إلى نتائج لا محالة خاطئة .

لهذا نجد أن مفتاح طريقة البحث السقراطية هو ضرورة إيجاد تعاريف صحيحة دقيقة وشاملة لختلف المواضيع والأشياء — وقد تمتاز تعاريف المواضيع الأدبية عن تعاريف الظاهرات الملموسة في أن المواضيع الأدبية هي إدراكات عقلية فأركان

تعريف المدل مثلاً لا تتركز على اختيارنا للحقائق المادية بل هي تحديد مثل أعلى نصبو إلى تحقيقه ويرجع الخطأ في هذا التحديد إلى أنه بالرغم من أن الحقيقة لا تتغير وأن أوضاعها لا تتبدل بل أن الخطأ هو الذي يتغير ويتشكل فإن الإنسان لا يرى في كل ظرف على حدة الحقيقة بأجمعها وبجملتها بل لا يرى إلا جزءاً منها تبعاً للظروف فإذا عمد إلى تعريف الشجاعة انصرف عقله إلى الاقدام في ساحة القتال مع أن هذا ليس إلا ضرباً من ضروب الشجاعة ولا يشمل الشجاعة بصفة عامة مطلقة وبعبارة أخرى أن تعريف أي فكرة أدبية لا يقصد به تحديد ما نفهمه منها عند تطبيقها على ظرف معين بل تحديد الفكرة في نفسها وتمييزها من كل ما هو غريب عنها أو تعدد الخواص التي تلازمها أبداً أو بعبارة أخرى الإدراك الكلى لها — فهناك الشجاعة وهي واحدة وهناك المدل وهو واحد — أما ضروب الشجاعة وضروب المدل فكثيرة متعددة

وأساس طريقة التفكير السقراطية هو إعطاء تعاريف للأفكار والأشياء تصلح لتطبيقها على جميع الأحوال الفردية —

فمن الضروري أن تعرف ما هو العادل وما هي الفضيلة وما هي  
الشجاعة ليس فقط لتتحكم على فلان بأنه عادل والآخر بأنه  
فاضل والثالث بأنه شجاع بل لكي تصبح أنت عادلاً وفاضلاً  
وشجاعاً وهو الأهم فكما أن العلم عبارة عن مجموعة تعاريف  
صحيحة فالحياة الطيبة ما هي إلا مجموعة تعاريف صحيحة الخلق  
الفويم نعرضها على أنفسنا بأنفسنا وبذلك نحفظ أنفسنا من  
الذل والرديلة .

أما الشطر الثاني من طريقة سقراط فهو الحوار وهذه الطريقة  
التعليمية لا تعد لها طريقة أخرى في إنهاضها للعقول وإيقاظها لقوة  
التفكير — فالمقل في نظر سقراط — ليس كما يبدو لنا محدوداً  
بل هو كل شيء لأنه دائم الفهم والمضم واستيعاب الحديث  
وابتكار المستحدث فهو دائماً يبرز القوة الكامنة فيه إذا  
ما توفرت له طرق البحث السليمة والتدريب العقلي الصحيح  
وطريقة الحوار أفضل السبل للوصول إلى هذه الغاية وإلى  
معرفة الحقيقة وقد أتقن سقراط هذا الفن التسليمي إتقاناً  
لا مثيل له وبين في جلاء أن الحقيقة بنت البحث وهي شرر  
لا يقده إلا احتكاك الآراء ببعضها .

## الفضيلة السقراطية

يقول « اكينوفان » إن الحكمة هي مقدرة تعرف أفضل سبيل التخلق والعمل وتوفر الإرادة القوية لتفضيل الخير على الشر مع مراعاة أفضلية الخير العام على الخير الفردي والصالح العام على الصالح الشخصي واتباع هذا المبدأ في الحياة العملية هو الفضيلة وأعمال الفضيلة كلها جميلة ومن عرفها حق المعرفة لا يمكن أن يفضل عليها نقيضها؛ وطالما ردد سقراط أن الشرير لا يعمل الشر بمحض إرادته ومن ذلك يتبين أن الفضيلة السقراطية مبنية على طريقة قطعية *determinisme* ولم يُعَلِّم سقراط صيغة محدودة للفضيلة البشرية ولكنه قدم لنا طريقة لمعرفة طبيعة الخير ترشدنا إلى الوصول إلى الكمال الداخلي القلبي وللإلمام بأي علم من العلوم يجب ألا نكتفي بمعرفة النتائج النهائية والأمر الواقع بل يجب أن نلم بالطريقة العلمية الفنية التي بواسطتها أمكن للعالم الوصول إلى هذه النتائج وذلك الأمر الواقع ويجب أن تكون للفلسفة قبل كل شيء طريقة وأن الاقتصار على التسليم بمجرد النتائج مضيعة للعالم

ولما كانت الفضيلة علم من العلوم — وهى أساس الفلسفة  
السقراطية — فيمكن إذن تعلم الفضيلة — ولما كانت أعمال  
الإنسان ترمى إلى الحصول على السعادة فلنتساءل : ماهى السعادة ؟  
قد يقال لأول وهلة إنها الجمال والقوة والثروة والفخر وما شاكل  
هذه الصفات المستحبة ولكن كم من حسرة أسىء إلى الجمال  
بعبت العابثين وكم من حسرة كانت سبباً في الشقاء  
وكم من مشاهير الرجال لقوا حتفهم عند بلوغهم ذروة مجدهم —  
فأين السعادة إذن ؟ ليست الصعوبة فى معرفتها بل الواقع أن  
الصعوبة التى تعترض الوصول إليها ترجع إلى غلطة أساسية  
وهى أن الإنسان يعتبر بعض متع الدنيا كأنها مظلمة فى حين  
أنها نسبية فقد يعتبر الإنسان أن الثروة والصحة والفخر  
والسلطان مرغوبات يبغيها الإنسان لذاتها أى أنها أهداف  
يود الوصول إليها والفوز بها وكفى ويقدر كل ما عداها بقدر  
ما يوصله إليها ولكن هذا خطأ إذ الواقع أن جميع هذه المتع  
يتوقف خيرها على قدر ما تجلبه على الإنسان من سعادة أو على  
قدر معاونتها للإنسان على تحقيق سعادته فمن الخطأ إذن الخلط  
بين السعادة والشروط الضرورية لتحقيقها وأخطر من ذلك الخلط

بين السعادة وبين شروط أخرى ليست بضرورية لتحقيق السعادة والوقوع في هذا الخطأ يجعل الإنسان لا يفرق بين السعادة وبين الثروة أو بين السعادة وبين القوة والسلطان أو غيرها — فاذا أبدلنا السؤال ما هي الأشياء الطيبة أو ما هي السعادة ؟ بصفة مطلقة بسؤال آخر وهو ما هي الأشياء الطيبة للإنسان ؟ أو ما هي « سعادة الإنسان » فقد تقدمنا في بحثنا خطوة صحيحة إلى الأمام لأن في ذلك تحديدا للغرض الذي نبحث من أجله مختلف الأشياء والصفات . —

وإذا كان مبحثنا هو « سعادة الإنسان » فإن أساس بحثنا يجب أن يكون تعرف طبيعة الإنسان إذ كيف يتسنى لنا أن نبحث شروط سعادتنا قبل أن نتعرف حقيقة حاجاتنا ورغباتنا وإرادتنا وبذلك نمرود إلى الشعار المنقوش على معبد دلفي وهو « اعرف نفسك بنفسك » غير أن هذه المعرفة ليست سهلة سائفة فهي تحتاج إلى تفكير غير متحيز وشجاعة أدبية وقوة إرادة — فما هو الإنسان ! هناك جسم الإنسان وهناك عقل الإنسان ونفسه وهناك الإنسان جسما وعقلا ونفسا أي الإنسان كوحدة واحدة ولما كانت رغبات الجسم عمياء فطرية فيجب إذن أن

يكون الحكم للعقل والنفس لا للجسم ، وأن نفهم ونعرف  
أنفسنا بأنفسنا كأول شرط للحياة السعيدة بغية تعرف النفس  
وضرورات الحياة الروحية — أما من اقتصر على معرفة جسمه  
فقط فقد عرف جزءاً من كيانه ولكنه لم يعرف نفسه كاملة  
وإذا كانت الحكمة هي معرفة النفس فكأن إتقان الإنسان  
لمهنته أو حرفته لا يعني الحكمة بل الحكمة هي نضوج العقل  
والنفس وهي إعطاء الأوامر للجسم وحفظه داخل حدود  
الاعتدال والكرامة وعقل الإنسان ونفسه هما الجزء الإلهي  
(فإنه مصدر الحكمة) — ومن عرف نفسه معرفة حقيقية كاملة  
أيقن أن خيره في ترقية عقله وتفكيره وإعلاء نفسه والامتناع  
عن كل الملاذ الجسمية التي تهدد صحة وسلامة نفسه — فالأشياء  
ليست في حد ذاتها طيبة أو رديئة بل إن طيبتها أو شرها يتوقف  
على طريقة استعمالها فالخدر في الدواء الطبي للمريض خير ولكن  
نفس الخدر لغيبوبة العقل واللذة الجسمية شر وأي شر فالفضيلة  
أو الحكمة ليست عبارة عن مجموعة قواعد يجب أن يحفظها  
الإنسان عن ظهر قلب ويتبعها وبذا يفوز بالسعادة بل هي  
النفس النقية والذكاء المتأهب للتفكير في مختلف المواضع الحيوية

التي لا نهاية لها لإيجاد حل عملي لصالح لسلك منها ويقول  
سقراط إن الفضيلة « هي علم معرفة الخير من الشر » والإنسان  
الفاضل من كان كفاً لمعرفة الخير وعمل الخير في غير تردد أو تصنع  
فالفضيلة إذن واحدة وجميع أنواع الفضائل المختلفة إن هي  
إلا أوجه التفكير الصالح في مواضيع الحياة المتعددة وإذا كان  
سقراط لم يعط تقسيماً شاملاً للفضائل فقد خص بعضها بالذكر  
ولعلها أهمها فالفضيلة الأساسية هي التفكير الصحيح المنزه أي  
الحكمة وهذه في علاقتها بالإرادة تنتج فضيلة الشجاعة وفي  
علاقتها بالأحاسيس والمتع الجسمية تنتج فضيلة الاعتدال وفي  
علاقتها بالناس تنتج فضيلة العدل وفي علاقتها بالله تنتج فضيلة  
التقوى وهذه هي الخمس فضائل السقراطية .

والعدل هو المعرفة الصحيحة للقواعد التي يجب أن نتبعها  
في علاقاتنا مع بني جنسنا ويستلزم ذلك معرفة القوانين التي  
تنظم علاقة الناس ببعضهم ولكن أي القوانين ؛ لا يقصد  
بها القوانين التي تسنها الدولة فقط بل القوانين غير المكتوبة  
أيضاً وهذه قوانين طبيعية إلهية أي قوانين وحي الضمير الحي  
النقي والدليل على أنها إلهية أبدية أنها تتضمن جزاءاتها إن

خيراً نفير وإن شراً فشر دون قوة تشريع مكتوب يفرض شروطها وينص على عقاب مخالفيها وبالرغم من ذلك فهي توحى للانسان أن تكون أعماله طيبة تجاه الجميع وبأن لا يقابل السوء بمثله وعلى أساس القانون الطبيعي وضع سقراط أساس المساواة بين الرجل والمرأة وقال إن الاسترقاق لا يستند إلى أساس أدبي كما رفع من شأن العمل ومقت البطالة والكسل .

وإذا كان العدل ألزم الفضائل الفردية للحياة الاجتماعية فهو صفة أكثر لزوماً للمسؤولين عن الصالح العام وعن إدارة الأداة الحكومية ولكل من طمح إلى وظائف الحكم وإلى مرتبة الأمر والنهي فهو أحوج الناس لصفة العدل ولن تحيا الدولة حياة سعيدة إذا ضاعت فيها الفضيلة وبخاصة لمن بيدهم مقاليد الأمور حتى ولو استكملت وسائل العظمة الأخرى من بناء الحصون المسلحة والأساطيل الضخمة وإنتاج الذخائر وزيادة عدد السكان وكيف يتسنى لأولى الأمر أن يتوقعوا الفضيلة من الشعب إذا كانوا هم بعيدين عنها — والسياسة في نظر سقراط علم من العلوم ولا يمكن أن تُشيد العلم على أسس القوة والإرهاب أو على الاستسلام وترك الأمور تسيرها الصدفة العمياء والسياسة

كلم يجب ألا يشتغل بها سوى أنضج العقول وأنتى النفوس  
— فالسياسى الحقيقى فى نظر سقراط لم يكن قد وجد بعد ، إذ  
عنده أن السياسى هو الذى يعرف مهمته السياسية بالمعنى الفلسفى  
أى الذى يشيد أسس كيان الدولة ونموها على الحق والمثل الأعلى  
لا على مبادئ الفائدة المادية .

ومن عامل نفسه بالعدل فقد اعتدل أما من تطرف فقد  
ظلم نفسه ولا يعتبر سقراط الامتناع عن التطرف فى الاستمتاع  
بالملاذات مجرد المحافظة على الصحة أو مجرد التفضحية بشهوة  
لإمكان التمتع بشهوة أخرى فضيلة — بل يرى أن الاعتدال  
المبنى على الفضيلة هو صفة التفكير الصحيح الذى يهذى الإنسان  
إلى الامتناع عن كل ما هو ليس جديراً بالإنسانية والرغبة عن  
كل ما يتعارض مع النضوج الروحى والعالو النفسانى — أما من  
استسلم لشهوة ما وأخضع نفسه للملاذها فقد فقد حريته الأدبية  
لأنه يصبح أسيراً لتلك الشهوة — وإذا فقد الناس حريتهم  
الأدبية فقدت الدولة حريتها — ومن أسوأ ضروب الجهل أن  
يعتقد الإنسان أن الترف والتمادى فى الملاذ هو السعادة إذ  
لا يمكن أن تتفق السعادة مع العبودية — فالسعادة الحقيقية هى

الاقتراب من الكمال بكل ما أوتي الإنسان من قوة تفكير  
وقوة إرادة وفي هذا قال سقراط :

« يعشق بعض الناس الكلاب أو الجياد الجميلة أو الطيور  
« الرشيقية — أما أنا فأجد سعادتي في الحصول على أصدقاء »  
« مكرمين ومثقتي في أن أرشدكم إلى سبل الفضيلة وأسهي »  
« معهم في الحصول على لذة العلوم ومن الخطأ أن يقال إنه »  
« ليس للفيلسوف متعة ، بل إن متعة الفيلسوف لا يفهمها غير »  
« الفيلسوف » .

فالسعادة هي في إعلاء النفس ورفع المدارك والثقافة وفي  
معاونة الآخرين على الوصول إلى هذا الهدف ولا يقصد بالاعتدال  
الحرمان من كل المتع الجسمانية بل يقصد التمتع بها بقسط معتدل  
لا يتعدى ضرورة الحياة الدنيا على أن تكون دائماً الكلمة العليا  
في تحديد هذا القسط للعقل والتبصر والإدراك لا لرغبات الجسم  
و بجانب العدل والاعتدال يجب أن يتصف الإنسان بالتقوى  
ولا غرابة في ذلك فقد اعتقد سقراط أن أهمته في الحياة كفيلاسوف  
كانت متممة لمهمة إلهية اختارها لنفسه فهو لم يؤمن بالقوة الإلهية  
فحسب بل اعتقد أن واجبه يقضى عليه بتعريف الآخرين لتلك

القوة كما اعتقد أن روحاً غير منظورة قد لازمتها لتحدوه وتقيه من الأخطار التي كانت تهدده . أما الشجاعة الحقيقية فهي في نظر سقراط فضيلة وليست مجرد مزاج طبيعي غير خاضع للتفكير — ولا يمكن اعتبار الإنسان أو الحيوان الذي لا يهاب ولا يخشى أى شيء بصنفة مطلقة شجاعاً بل نسميه مستهتراً أو مجازفاً أو مخبولاً إذ لو صح اعتبار هذا الاستهتار شجاعة لكان الطفل الذي لا يفتن للخطر المحقق به لجهله أشجع المخلوقات وفي حين أن المجازفة كثيرة إلا أن الشجاعة المبنية على الإدراك والعقل المستنير قليلة نادرة .

وفي حالة الخطر المحقق قد يتخلق الإنسان المفكر بإحدى صفات ثلاث — فإما أن لا يهتم بالخطر ويقدم عليه كأن لم يكن موجوداً وهذه صفة تميز الأبطال في ساحة القتال — أو أن يفكر بعض التفكير محاولاً تفادي هذا الخطر — أو أن يدرك الخطر تمام الإدراك ولا يبالي به ويحتقره ظالماً أنه لا يؤثر على الفضيلة وهذه شجاعة الفيلسوف الذي يؤثر التعرض لأى خطر مهما كان عن إتيان الرذيلة .

مهد سقراط للبشرية بهذه الفضائل فكرة حياة كاملة

تتجه نحو إتمامها جميع العقول البشرية بالتفكير الحر رغبة في  
الطيبة وحباً في الخير العام بمجهود عقلي ونفسي يشترك فيه  
الجميع دون تفرقة بين رجل أو امرأة وعنده أن رقى الحياة  
الاجتماعية لن يتم إلا عن طريق التعليم والتآلف والتضامن  
المبنى على العدالة الاجتماعية .

### مبادئ سقراط الدينية

كانت الديانة اليونانية في الواقع تفسيراً للقوى الطبيعية  
المختلفة من بحار ورياح وأمطار وحرارة . . . الخ وقد هالت  
هذه القوات قدماء اليونان ولاحظوا أنها تارة مفيدة وتارة  
مضرة إلا أن الإنسان بفريزته يتأثر بالسيء أكثر مما يتأثر  
بالمفيد فمثلاً منظر رجل كسيح بأس في أحد الميادين الحديثة  
لا شك أنه يستلفت أنظار المارة أكثر مما تستلفتها المئات من  
الرجال والنساء الذين يرفلون في متع الحياة ونعيمها — لذلك  
أراد اليوناني القديم أن يتقرب من هذه القوى ويلتمس خيرها  
ونعيمها وفي نفس الوقت يأمن شرها وغدرها فانتهى به بحثه  
وتفكيره إلى تنصيب رب أو روح لكل قوة من هذه القوات

الطبيعية وبذا تخيل له أنه قد أخضع هذه القوات إلى آلهة أو أرواح كنفية باغداق الخير إذا ما رضيت وقادرة على الانتقام إذا ما أغضبت — ومن هنا كانوا يعتقدون أن الكوارث الطبيعية التي تنزل بهم كالسيول الجارفة أو العواصف الشديدة تعزى إلى غضب آلهة هذه القوى ولذلك كانوا يلجأون إلى تقديم القرابين والتوسلات إليها — وإذا ما أعميتهم الخيلة وطال الانتظار فإنهم لا يمتنعون بل كانوا يطلبون إلى أحد الآلهة الأخرى أن يتوسط لدى زميله الإله العاصب ومن ذلك نرى أن اليوناني القديم في حالة الشدة والحنة ما كان ييأس أو يقنط بل إنه كان يولد في نفسه الأمل ، فيرجو ويتوسل بفضية تحسين حاله أو إزالة شدته وسواء أكانت هذه الاعتقادات مبنية على أساس صحيح أو خاطئ فإنها لا شك قد ولدت في روح الأغريقي الأمل وهو من أهم العناصر اللازمة للتقدم في الحياة .

وكل الظواهر الطبيعية من أنهار وجبال ورياح وشمس ونوم وموت قد حُولت جميعها إلى عناصر مقدسة يمكن إرضائها واكتساب عطفها . كذلك فكر قدماء اليونان في عواطف

الإنسان من حب وغضب وخيال وحكمة وعشق للموسيقى والجمال وتساءلوا كيف تنشأ هذه المواظف وما كنهها وما الفرض منها وانتهى بهم الأمر بأن مثاوها بالقوات الطبيعية فهناك آلهة لكل من الجمال والحكمة والحب والحظ وغيرها . واعتقد اليونانيون أن هذه الآلهة لم تكن مجرد قوات روحية خيالية بل كانت مخلوقات بشرية تشبه الإنسان ، بيد أنها أرقى وأعلى منه وأنها عاشت في عصور غابرة على الأرض مثلهم وأن نسلها هم القبائل اليونانية وكل قبيلة يونانية تنتسب إلى إله أو بطل من هؤلاء الأبطال — وقد كانت هذه الآلهة تسيطر على الحياة الاجتماعية وبالرغم من عدم وجود كنيسة في الدولة اليونانية القديمة بالمعنى الحديث فقد كانت الديانة جزءاً لا يتجزأ من الدولة ومن الهيئة الاجتماعية اليونانية كما كانت ديانة اليونانيين ناحية من نواحي حياتهم السياسية فالمفاصرة في الحرب والتوسع في الاستعمار كانت جميعها تحتاج إلى موافقة وتعزيد الآلهة وفقاً لمعتقداتهم .

وقد كان من نتائج هذه العقائد ومن ضعف الطبيعة البشرية للإنسان أن شغلت « معرفة المستقبل » والتكهن بما يحمل في طياته

فكر قدماء اليونان إلى حد كبير — وقد كانوا يلتمسون معرفة المستقبل ومكوناته التماساً ومن ذلك نشأت عدة خرافات — فاذا ما صادف اليونانى وهو ذاهب في طريقه لقضاء مهمة خاصة طيراً معيناً أو سمع كلمة عرضية من شخص آخر كان يتفاءل أو يتشائم وفقاً لهذه المصادفات غير المتوقعة وقد كانت قراءة المستقبل والتكهن به من أهم مشاغل الحياة اليونانية حتى في أرقى الأوساط المتعلمة — وكان كل فرد يذهب إلى العرافين لاستطلاع رأى الآلهة فيما يعتزمه من أعمال شخصية أو عائلية أو لمعرفة من سرق متاعه — ولم يقتصر هذا الأمر على الأفراد بل كانت الدولة نفسها تسترشد بمثل هذه السبل في أعمالها الحربية وغيرها . وقد كانت علاقة اليونانى القديم بتلك الآلهة علاقة خارجية شكلية وليست علاقة روحية مستقرة في القلب كما أن قرابينهم كانت عبارة عن ضحايا تقدم للآلهة لا كتساب رضاها وكانت أشبه بعطايا يُنتظر لها مقابل وأن التقصير في تقديمها يوجب غضب الآلهة ، وامل هذا دليل آخر يثبت أن العلاقة بين اليونانى وألمته كانت علاقة خارجية لا دخل للشعور الروحى فيها حتى أن الخطيئة كانت تعتبر في نظرهم وصمة خارجية مادية يمكن محوها

باتباع طقوس شككية معينة لا كما نعتبرها نحن الآن كألم روحي  
نفساني يسبب للإنسان الخاطيء وخذ الضمير ولن يرتاح ضميره  
وتهدأ نفسه إلا إذا تضرع لله واستغفره وشعر في قلبه وضميره أن  
الله قد عفا عنه .

ومن ذلك نرى أن النقطة الجوهرية في عقيدة اليوناني  
القديم أنه كان يحجم عن الخطيئة خوفا مما يعقبها من غضب الآلهة  
وبالتالي العقاب الفعلي حتى لقد نشأ عندهم المثل المتداول « الدم  
ينادي الدم » أي من قتل يقتل بخلاف شعورنا نحن إزاء الخطيئة  
من الندم عليها وعدم العودة لاتباعها لجرد أنها خطيئة لا يجب  
أن نأتيها لقبحها لا لجرد الخوف والوجل من العقاب الذي يتبعها .  
كذلك من أهم المسائل التي يجب أن تتناولها الديانات  
ظاهرة الموت وكل ديانة لا تبحث هذه النقطة لا يمكن أن  
تستقر طويلا في قلوب مهتنيها .

أجمعت العقائد اليونانية القديمة أن الأرواح تعيش بعد  
الموت إلا أن معيشتها كانت أشبه بظل أو خيال شبيه بصاحبه  
عندما كان على قيد الحياة وبديهي أن هذه العقيدة ما كانت  
تكفل لهم أي راحة أو طمأنينة بيد أن بعض خرافاتهم قد حدثتهم

عن مكان سعيد للأبطال والأبرياء وآخر تنس للمجرمين  
والخاطئين إلا أن فكرة النعيم والجحيم وفكرة أن الحياة الدنيا  
كلها متاعب وتجارب تنتهى بالموت الذى يعقبه نعيم وجنات  
للأبرياء كانت كلها أفكار غريبة ما كان يدركها العقل اليونانى  
القديم — ومن هنا نشأ تعلق اليونانيين بالحياة والتمتع بها  
جسماً ونفساً وتجميلها إلى أقصى درجة ممكنة ولذلك أدخلوا في  
حياتهم كل ما هو جميل وبهيج سواء من وجهة الشكل أو المعنى  
وحاولوا أن يجعلوا من حياتهم نعيماً مقيماً في الوقت نفسه كان  
يطمح كل منهم إلى إتيان الأعمال العظيمة التى تخلد ذكراه  
بعد المات .

كذلك كان اليونانى يخصص جزءاً من حياته للعلم والدرس  
حتى إذا ما طعن في السن وفقد مقدرته على التمتع بما يصاحب  
الشباب وجد العزاء في المناقشات العلمية والفلسفية وقد كان  
كرههم لكبر السن وهلعهم من الموت بمقدار تعلقهم بالحياة  
والتمتع بها كما كان عزاؤهم الوحيد لتحمل الموت هو تخليد  
الذكرى بعد المات — وكانت الديانة اليونانية تغذى الخيال  
أكثر مما تغذى الذكاء والتفكير وفي الواقع كان يرجع تمسك

اليوناني القديم بديانته إلى بهجة الطقوس الدينية وما كان  
يلازمها من أغاني ورقص وحفلات رياضية مختلطة تهز مشاعره  
وتملأ نفسه بالحركة والانتعاش أكثر مما كانت يرجع إلى  
الاقتناع بمقائد تلك الديانة . وحتى الحفلات الأولمبية وما  
كان يحيط بها من روعة وجمال كان أساسها ديني وطقوس  
دينية خرافية

هكذا كان شأن الديانة اليونانية وعقائدها وطقوسها التي  
نشأ فيها سقراط ولما حكّم عقله وتفكيره وشعوره الداخلي في  
شؤونها دون التأثر بالخيال أو الإغراق في الأشكال الخارجية  
والبهجة الملازمة لها نقدها دون مبالاة كجبردة عقيدة سكرية قلبية  
فمن هذا الجو أراد سقراط أن ينتقل بمواطنيه من التبحر  
في الخرافات حياً في الأشكال الخارجية إلى الشعور الداخلي  
القلبي وإلى العقيدة بالإله الواحد والاتصال به عن طريق التفكير  
والتأمل والحياة الروحية وقد ذكر « اكسنوفان » أن سقراط  
بدأ تدريسه لتلاميذه ببحثه موضوع وجود الله والحكمة الربانية  
وقد استند في ذلك إلى برهانين أولها العلة السببية وثانيهما  
العلة النهائية .

وُهب الإنسان الذكاء وقوة التفكير ولا بد أن يكون الذكاء  
البشرى والتفكير الإنسانى مع عظمتة واحتمالاته مستمداً من  
ذكاء أعلامه بكثير وهو الذكاء الذى خلق العالم إذ لا يمكن  
أن يصدر الذكاء من عدم الذكاء وهذا هو برهان السببية .

أما البرهان الثانى فهو أن كل شىء فى العالم يميل إلى  
الإصلاح من شأنه ويناضل لتحسين حاله ، كما أن لكل  
شىء غرضاً وهدفاً فقد هُيئت أعضاؤه جسم الإنسان تهيئاً  
لا يمكن أن يماو عليه لأداء وظائفها وإتمام الغرض الذى من  
أجله خلقت ، وهناك فائدة عالمية أى فائدة من جميع الأشياء فى  
تسخيرها كلها لفائدة الإنسان وهذا بلا شك عمل العناية الإلهية  
واعتقد سقراط بوجود الإله الواحد فكما أن هناك عالم  
واحد ، هناك إله واحد موجود فى جميع الوجود كوجود الروح  
فى الجسم وهو الذى خلق الإنسان والحيوان والأجرام السماوية  
أى العالم بأسره — حقيقة أن سقراط استعمل فى بعض الأحيان  
كلمة الآلهة فى صيغة الجمع ولكن المعروف أنه فى العصور القديمة  
كانت كلمة الآلهة تستعمل للتعبير عن جميع الكائنات المقدسة  
والسماوية — وإله سقراط أبدي وعظيم « وهو يرى كل شىء

ويسمع كل شيء وموجود في جميع البقاع ويسهر على كل شيء  
في نفس الوقت .

و بلغ إيمان سقراط بالعناية الإلهية لدرجة أنه اعتقد  
بإمكان الوحي وإمكان وجود علاقة بين الله وبعض الناس  
و بإمكان وجود صوت خفي يشعر الإنسان بما سيحدث ، وقد  
سماه سقراط العلامة الإلهية أو الصوت الإلهي ، وباح سقراط  
بأنه يسمع هذا الصوت ويشعر به وهذا ما سماه العامة « شيطان

سقراط » Demon de Socrate

بدت هذه العقائد والأفكار غريبة في نظر الآثنيين  
لدرجة أن إحدى الاتهامات التي من أجلها قدم سقراط  
للمحاكمة كانت أنه لا يؤمن بألهة أثينا .

### اتهام سقراط ودفاعه وإعدامه

اختلف سقراط عن مواطنيه في تفكيره وفي آرائه وفي  
خلقه وأعماله ، فظهرت محادثاته لهم غريبة — كما بدت لهم  
حياته — ناقش سقراط شتى المواضيع ، ونقد كل ما بدال له أنه  
يستحق النقد بصيغة السخرية المزوجة بالجد ولم يدرك أحد

عمق تفكيره وحدة نظره سوى نثر قليل وقد تظاهروا سقراط دائماً بالجهل ولكن تبين للغير أنه موقن في نفسه بأنه أحكم من مواطنيه جميعاً وقد صاغ سقراط حكمة في نظريات بدت للآثنيين غاية في الغرابة فلم يفقهوا مثلاً أن « الشرير لا يعمل الشر مختاراً » ، وأن « المعرفة هي الفضيلة » ، وأن « من يعرف كيف يأمر هو الذي يصلح للرياسة دون غيره » ، وأن « اختيار الحكام بالاقتراع مهزلة » وما إلى ذلك من الحكم السقراطية — لقي سقراط الويل لأنه أراد أن يعلم مواطنيه أكثر مما كانوا على استعداد لفهمه وهضمه ولذلك سببت تعاليمه هذه وصركزه من مواطنيه الحكم عليه بالإعدام ولكنها أكتسبت تخليد ذكره أبد الدهر وانتشار تعاليمه في أنحاء العالم أينما حلت المدنية »

وفي سنة ٣٩٩ قبل الميلاد عند ما بلغ سقراط السبعين من عمره عمد ثلاثة من مواطنيه ذوي النفوذ إلى الإيقاع به والتخلص منه بقتله عن طريق غير مباشر فأتحدوا في الشر وقدموا ضده عريضة اتهام مطالبين الحكومة بإعدامه وهؤلاء الثلاثة هم : مليتوس الشاعر ، ولسكون الخطيب ، وأنيتوس الدباغ ؛ وقد احتفظ بهذه العريضة حتى الجيل الثاني بعد الميلاد ضمن

محفوظات معبد « سيبيل » .

اتهم هؤلاء الثلاثة سقراط من الناحية التعليمية بإفساد  
النشء الآثني عقلاً وخلقاً بواسطة محاوراته وتعاليمه ومن الناحية  
السياسية لأنه نقد نظام الحكم الآثني — ومن الناحية الدينية  
لأنه لا يؤمن بألهة أثينا وهذه الأسباب فهو رجل خطر على  
الدولة « ويجب إعدامه » .

ولئن كان هؤلاء ومن على شاكتهم قد أساءوا تفسير تعاليم  
سقراط فإن تخلفه كان بلا شك دائماً مشجعاً بالإخلاص التام  
لصالح الدولة وحرصه التام على احترام الدستور — ولم يقتصر تفوق  
سقراط بين الآثنيين على سرعة خاطره وذكائه المفرط وعلو نفسه  
وإخلاصه لمبادئه وشجاعته بل امتاز أيضاً بقيامه بواجباته  
ك مواطن آثني مخلص وكجندى شجاع دافع عن العدالة دون  
مبالاة بأي اعتبار آخر وعدم اكتراث بما قد يحيق به من شر من  
جراء مقاومة التصسف والظلم وقد نهج هذا السبيل متحملاً تبعه  
أعماله إلى النهاية دون مقاومة قوانين بلاده وتقاليدها مقاومة  
إيجابية وليس أدل على ذلك من إطاعته للحكم الذي صدر  
بإعدامه دون معارضة أو محاولة للإفلات منه — وفي جميع

مراحل حياته كان يقابل كل نقد بصراحة كاملة مصراً على آرائه مبرهنناً صحتها بكل صراحة وقوة إرادة — فمثلاً عندما قال مليتوس أحد موقفي عريضة اتهمه أنه يمكن أن يرشد إلى بعض الشبان الذين كان سقراط ينصحهم بأن يتبعوا تعاليمه أفضل من اتباع نصائح آبائهم وأمهاتهم ، فهو بذلك يعمل على تشجيع الأبناء على عصيان والديهم أجاب سقراط في حزم بأن الأفضل للمريض أن يتبع آراء الطبيب دون رغبات والديه .

قدمت هذه التهم لمحكمة مكونة من ٥٠٠ عضو انتخبوا بالقرعة فكان من بينهم بضع مئتين من فلاحى وتجار وصناع أثينا اجتمعوا ليحكموا فى أعظم قضية عرفها التاريخ القديم ومن هذا يتبين للقارىء كم كان من العسير على سقراط أن يبرر مبادئه الفلسفية والميتافيزيكية ( ما فوق الطبيعية ) أمام هيئة غريبة التشكيل كهذه الهيئة وقد روى أفلاطون عن سقراط أنه شبه موقفه من هيئة هؤلاء القضاة بموقف طبيب يتهمه طاه أمام جمعية أطفال قائلاً لهم بأن هذا الطبيب قد أحدث بهم أضراراً بليغة تقضى عليهم وعلى الأطفال الأصغر منهم سناً إذ يعطيهم الدواء المر المذاق ولا يصرح لهم إلا بما يأكله المرضى بدلاً من أن

يسطيهم ألد الطعاص كما يفعل بهم الطاهي فماذا يجيب الطبيب ؟  
هل يقول للأطفال أنه لا عرض له في كل ما يعمله بهم سوى  
حماية صحتهم وهل يصدقونه أو يدركون سمو قصده .

وفعلا كان كل ما قاله سقراط لهذه الهيئة عند ما وجهت  
إليه هذه التهم يتم عن الامتثال لتنفيذ القانون الآثيني الذي  
يحتج على المتهم أن يقدم دفاعه لهيئة المحكمة — قال سقراط  
« أيها الآثينيون لا تعتقدوا أنني أدافع عن نفسي لمحبي لنفسي  
بل لإشفاقي عليكم لثلاث سببوا إلى الله في حكمكم عليّ . . . . .  
وقد يكون من بينكم من يتضايق مني عند ما يتذكر أنه عند ما  
كان في موقف أقل خطورة من موقفي هذا قد توسل وتضرع  
وبكى إلى القضاء وقد اصطحب معه أولاده وأقاربه وأصحابه  
بغية إثارة عاطفة القضاء — أما أنا فلم أفعل شيئاً من هذا بالرغم  
مما قد أتعرض له من الأخطار . . . . . وأني أعتقد أن الإنسان  
لن يفوز بالبراءة بمجرد توسلاته وأن واجب المتهم ألا يتضرع  
للقاضي بل ينيره ويقنعه فأنتم لا تجلسون هنا لتضحوا بالعدالة  
طبقاً لرغبة من أتقن التوسل إليكم بل لتقضوا بالعدل في أمانة  
دينية وإذا ما غرتكم توسلاتي واضطرتكم لحرق حرمة واجبكم

كقضاة عدل فإني بذلك أعلمكم الكفر» .

وقد نظر سقراط إلى تلك الهيئة كمجموعة أناس خاطئي الفهم لا يدركون خطورة ما هم في صدره بعيدين عن الحق والحقيقة وكان يخاطبهم في هدوء تام وعدم اكتراث أو هياج لدرجة أشمريتهم بأنه يعتقد بعلم مكانته عنهم وأنه يقاضيهم بدلا من أن يقاضونه ومما قاله « إن الرجل حقا من كان همه وتفكيره فيما إذا كانت أعماله عادلة أو غير عادلة لا من وجل من احتمالات الموت أو الحياة وكل من اختار لنفسه مهمة معينة باعتبارها مشرفة يجب أن يثبت فيها دون مبالاة بالخطر أو الموت فمن خشى الموت فهو بعيد عن الحكمة حتى ولو اعتقد أنه حكيم ... ولا يعرف أحد ما هو الموت وعما إذا كان الموت ليس بأعظم خير للإنسان — ومع ذلك فالإنسان يخاف الموت كأنه واثق بأنه أشر الشرور وحقا أنه من الجهل الخجل أن نعتقد أننا نعلم ما نجهله — وهذا قد يكون وجه الفرق بيني وبين أغلب الناس وربما كنت من هذه الناحية أعقل منهم لأنني لا أنسب لنفسى ما لا أعرفه — أما ما أعلمه علم اليقين فهو أن الظالم أو غير المطيع لمن هم أفضل منه سواء أكانوا رجالا أو آلهة قد أهمل

واجبته وهذا هو الشر الذي أخشاه وأود أن أهرب منه .  
لم يدهش سقراط لصدور حكم القضاء بأنه مذنب بل دهش  
لأن هذا القرار صدر بأغلبية ضئيلة لا تتعدى بضعة أصوات  
وكما أن كبرياءه قد أكسبته قرار الإدانة فإن عدم خنوعه  
وتمسكه بكبريائه قد أكسبه قرار الحكم بالاعدام — إذ طبقاً  
للنظم الآتية كان على المذنب أن يقترح العقوبة التي يعتقد  
أنه يستحقها ولكن إجابة سقراط عن ذلك كانت إجابة  
تنطبق انطباقاً منطقياً على ما سبق ودافع به عن نفسه فقال :  
« ماذا أستحق عن سلوكي معكم ؟ لعمرى أنى أستحق المكافأة  
إن أردتم أن تعذبوا بل ومكافأة تلائمى — فبالله ماذا يلائم رجلاً  
مسكيناً صنع بكم خيراً وفي حاجة إلى الفراغ بحيث ينحصر كل  
وقته فى إعطائكم نصائح مفيدة ؟ — الحق أنه لا يوجد أيها  
الآثيون ما يلائمى سوى أن تتكفل الحكومة بإقامتى فى دار  
ضيافة الدولة المعدة لأفاضل المواطنين<sup>(١)</sup> Prytanée ألم أحرز  
هذا الشرف بدرجة استحقاق أكثر من الفائزين فى المباريات

---

(١) باللاتينى prytaneum وقد كانت دار الدولة لضيافة أفاضل  
المواطنين الذين أدوا للدولة خدمات جليلة .

الأولمبية؟ لأن هؤلاء الفائزين لا يجلبون لكم السعادة سوى في الظاهر — أما أنا فإني أعلمكم كيف تكونوا سعداء حقاً فضلاً عن أن هؤلاء لديهم ما يعولهم — أما أنا فلا أملك شيئاً من حطام الدنيا — فاذا تعين علي أن أعلن عما أستحقه طبقاً للعدالة فإني أقول لكم أنني أستحق أن يحتفل بي في دار ضيافة الدولة أيها الأثنيون لا تتهمونني بالخيلاء لأنني أحدثكم بهذه الصفة والباعث الحقيقي لما أقوله لكم هو أنني لم ارتكب ظالماً ضد أي شخص على الإطلاق . . . . . وإذا فرض وأردت أن أتقاضي العقوبة التي اختارها لي ميليتوس (وهي الإعدام) فإذا أختار لنفسى؟ هل أقترح فرض غرامة على؟ ليس لدى الوسيلة لدفعها! هل النفي؟ ربما توافقون — ولكن هل محبتي للحياة وتعلق بها قد أعمت بصيرتي حتى أعتقد أن الأجنبي يحتمل طريقة معيشتي ومباحثاتي في حين أنه عسير عليكم وأنتم مواطني أن تحتملوها! « هكذا كانت لهجة سقراط في دفاعه وفي اختياره لعقوبته وقد اعتبرها القضاء تهكماً بل إهانة وتحدياً يجب أن يعاقب عليها بأشد العقوبات ، فصدر الحكم عليه بالإعدام؛ وحتى في هذه اللحظة لم يغير سقراط من لهجته إذ قال لهم : سأخضع للموت

الذي حكمتم به على — أما من اتهموني فسيخضعون لحكم  
الظلم والعار اللذان تقضى بهما الحقيقة فلي جزائي ولهم جزاؤهم  
ومن يدري فر بما هذا هو المقدر والمحتوم أن يحصل وفي نظري  
أن كل ما يحصل فهو للخير» .

وظل سقراط في تفأؤله وفي استسلامه للعناية الربانية وكان  
آخر ما قاله لهيئة القضاة « إني لا أحمل أي شعور سيء سواء  
ضد من اتهموني أو ضد من حكموا علي بالرغم من أنهم لم يقصدوا  
بي خيراً بل سعوا إلى إيلاحي مما كان يستدعي الشكوى من  
جانبي وليس لي عندكم سوى ملتصق واحد وهو أنه عند ما يكبر  
أطفالنا إذا لاحظتم أنهم يسعون وراء الثراء أو أي شيء سوى  
الفضيلة فعذبوهم كما عذبتمكم أنا وإذا اغتروا بأنفسهم فبينوا لهم  
جهلهم حتى تكمر وجوههم خجلاً وهذا ما أبغيه منكم فإذا فعلتم  
ذلك فليس لي ولا لأولادي سوى التحدث بحدكم — والآن  
حان الوقت لأن نفترق فأخذ أنا طريقي إلى الموت وأنتم سبيلكم  
إلى الحياة ولا يعرف أحد إلا الله إذا كان حظكم أحسن من  
حظي أو حظي أفضل من حظكم» .

وفي اليوم التالي لصدور الحكم على سقراط سافرت سفينة

من أثينا نقل الهيئة الدينية الخاصة بإحياء ذكرى ميلاد ربه  
ابلاون Apollon وكان القانون لا يسمح بتنفيذ حكم الإعدام  
أثناء هذه الرحلة المقدسة فانتظر سقراط عودة هذه السفينة  
لينفذ فيه حكم الإعدام وقد طالت مدة انتظاره حتى بلغت  
ثلاثين يوماً — وبالرغم من انتظاره للموت المحقق طيلة هذه  
الأيام الجديدة لم يُظهر سقراط أي اضطراب أو انزعاج بل ظل  
يزاول أحب الأعمال إليه وهي استقبال المقربين منه ومناقشتهم  
في المسائل الفلسفية ووصلت به رباطة الجأش أن ألف نشيداً  
لأبلاون . . . وذات يوم حضر له في الصباح صديقه كريتون  
Criton في السجن وعرض عليه أن يهربه من أثينا دون  
تعرض لأي خطر وبأسرع السبل — وقد كان كريتون غنياً  
مثيراً وعمل كل ما في وسعه ليشتري ضيماً من بيدهم سلطة  
تسهل هروب سقراط وضغط على سقراط ليهرب معه إلى تراقيا  
Thracia حيث يلتقى بأصدقاء أوفياء وتوسل إليه بأن يواصل  
حياته ويتفادى نفاذ هذا الحكم المروع حماية لشرف تلاميذه  
من العار الذي لا بد أن يوصموا به عندما يقال عنهم أنهم تركوا  
أستاذهم يهلك ظالماً ورافة بأولاده الذين يجب ألا يجرمهم من  
معاونته ونصائحه .

فأجاب سقراط بقوله : « يا عزيزي كريتون ! من العسير أن أبالغ في تقديري لرجائك لو أنه انطبق على العدل ... ويجب أولاً أن نفحص ما إذا كان واجبي يسمح لي بأن أفعل كما تقترح أولاً — فليس بمجديد اليوم أنى لا أضفى إلا لصوت التمثل والتبصر ولا يصح أن أتخلى عن المبادئ التي ناديت بها طيلة حياتي إذا ما حل بي سوء الطالع فالآن أراني أرى هذه المبادئ بنفس العين وهي تبدو لي بنفس القوة ولها مني نفس الكرامة والاحترام كما كانت من قبل سواء بسواء .

وليس الغرض أن يعيش الإنسان وكفى بل يجب أن يحسن العيش ؛ وتساءل سقراط عما إذا كان يحق له أن يتفادى العقوبة التي حكم عليه بها إذا كان لم يفلح في إقناع مواطنيه بأنها عقوبة ظالمة وهل يلجأ إلى المبدأ الذي أجمع عليه جميع اليونان تقريباً بأن يقابل السوء بالسوء وأن يقابل ظلم مواطنيه الآثمين بعامل الظلم ؟ أوليس الظلم بشر وعار على من ارتكبه وبذلك أجاب سقراط كريتون إجابة قاطعة بأنه لن يرتكب الظلم مطلقاً حتى ولو كان هو ضحية ظلم الآخرين — وقد رفض سقراط بتاتا مخالفة قوانين بلاده أو الاخلال بواجبه ك مواطن

إذ ختم حديثه مع كريتون في صدد هروبه بأن قال : « دعنا يا عزيزي كريتون من هذه المناقشة إذ يجب أن نسير في غير وجل حيث يقودنا الله » .

وبعد مضي يومين من هذا الحديث دخلت السفينة المقدسة ميناء بيريه وبذلك قتم تنفيذ حكم الإعدام على سقراط في اليوم التالي — وللمرة الأخيرة اجتمع حوله أصدقاؤه وفي مقدمتهم كريتون — وقد سجل أفلاطون للعالم من بعده هذا المنظر الأخير الرائع وهو أن سقراط كألوف عادة رابط الجأش هادئاً سموح الوجه مداعباً لأصدقائه في رقة موجهاً لكل منهم كلمة عطف ومحبة — وأراد أن يختم رسالته الفلسفية الطويلة بأن يبين لهم ويقدم البرهان القاطع بأنه ولئن كان الجسم يهلك ولكن الروح خالدة وذكرهم بأنه يأمل أن يلقى بعد هذه الحياة الدنيا مكافأة على فضيلته كما أن الأشرار يلاقون جزاء شرهم .

« فليطمئن كل من حرم نفسه أثناء حياته بالملاذ والمتع »

« الجسمانية بوصفها غريبة عنه ومصدر الآلام — وليطمئن من »

« أحب لذة العلم ومن زين روحه بالأكاليل الملائمة لها »

« كالأعتدال والعدل والقوة والحرية والحق — ومن كانت »

« هذه صفاته يجب أن ينتظر ساعة رحيله إلى العالم الآخر كما »  
« لو كان مستعداً للسفر بمجرد ما يناديه القدر وفيما يختص بي فقد »  
« ناداني القدر اليوم ... والآن أذهب لأستحم لأنني أعتقد أنه »  
« من الأفضل أن أغتسل قبل أن أجمع السم لكي أعفي »  
« النسوة مشقة غسل جثتي فيما بعد » .

قال سقراط ذلك ثم دخل حجرة مجاورة واغتسل وعند  
عودته أدخلت عليه النسوة من عائلته كذلك أولاده فتحدث  
إليهم بعض الوقت ولما انصرفوا عاد سقراط لأصدقائه ولكن  
لم يطل مكثه معهم .

وبعد قليل أحضر كأس السم وبمجرد أن رأى سقراط  
حامل كأس السم سأله عما يجب اتباعه — فأجابه الرجل بأن  
يتمشي عقب تجرعه السم حتى يشعر بالتحذير في أرجله وعندئذ  
يرقد على فراشه فيأتي السم بمفعوله من تلقاء نفسه .

تناول سقراط كأس السم دون أن تظهر عليه أي علامة  
من علامات الانفعال أو يتغير لون وجهه أو سياه — وشرب  
ما فيه من سم قاتل بكل هدوء وبشاشة وحتى هذه اللحظة  
تمكن أصدقائه المحيطون به من حبس دموع أعينهم — أما

بعد أن انتهى من تجرع السم فلم يتمكنوا من ضبط نفوسهم  
وبكى أفلاطون بكاء مرأً وكان قد سبقه في البكاء كريتون ،  
أما أبلودور Apollodore الذي كان قد سبق الجميع في البكاء  
فقد بدأ يصرخ ويولول وينتحب لدرجة تأثرت منها قلوب  
الحاضرين ما عدا سقراط الذي قال لهم : « ما أنتم به أيها  
الأصدقاء ، ألم أبعث النسوة من هنا كي نتفادي ما أنتم عليه  
الآن قلت لكم إن الأفضل أن يختم الإنسان حياته بكلمات  
طيبة فاقبلوا عن ذلك واطهروا شيئاً من الثبات .

أخجلت هذه العبارات أصدقاء سقراط وأمسكوا عن  
البكاء و بعد أن تمشى سقراط قليلاً بدأ يشعر بثقل رجليه فرقد  
على فراشه طبقاً لتعليمات حامل السم الذي اقترب منه وضغط  
بشدة على قدميه فلم يشعر سقراط بهذا الضغط وكذا ضغط على  
نخذه فتبين أن الموت سرى إليهما وإن جسمه كان يبرد شيئاً  
فشيئاً وعندئذ فاه سقراط بأخر كلماته بأن قال لسقراطون « نحن  
مدينون بديك لاسكولاب Eacullape فلا تنسى أن تفي بهذا  
الدين ؛ فأجاب كريتون بأنه سيفعل ذلك سائلاً سقراط عما إذا  
كان لديه شيئاً آخر يقوله لهم ولكن سقراط لم يجبههم بشيء ثم

بدأت منه رعشة ففطى حامل السم جسمه بأكله وقفل عيناه وفيه .

\*\*\*

هكذا مات سقراط مؤمناً بالعناية الإلهية وبقوة الحق التي لا تعلوها قوة وبأن الخير لا بد أن ينتصر ولو بعد حين وأن الحقيقة لا يمكن أن تخطى — وإذا كان سقراط قد مات فإن آراءه لن تموت وقد عرف سقراط ذلك وكان هذا سر موته باسمياً .

## المراجع

1— Philosophie Morale et Politique

Par

P. Janet.

2— Histoire de la Philosophie

Par

Alfred Fouillée.

3— Socrate

Par

Paul Landormy.

4— The Greek view of Life

By

G. Lowes Dickinson.

5— The Story of Philosophy

By

Will Durant.

6— A History of Political Theories

By

William Archibald

Dunning.